مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

إخصاب الدلالة واستراتيجية القراءة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا

الدكتور منذر شباني *

(تاريخ الإيداع 8 / 1 / 2018. قبل للنشر في 8 / 2 / 2018)

□ ملخّص □

يحاول هذا البحث أن يركز بالدراسة على مفهوم الدلالة، عند الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا وسعيه إلى تقديم ممارسة نقدية مختلفة لمفهوم الدلالة، منشغلاً بالسؤال والبحث عن أفاق مختلفة للممارسة النقدية المتجاوزة للانغلاق البنيوي. من خلال استراتيجية القراءة التي تتيح المجال لإنفتاح النص وتعدديته. فيعرض بداية توضيح مفهوم الدلالة كما حدده دريدا. ثم يناقش دور القارئ بوصفه استراتيجية حاسمة في توليد الدلالة، كونه منتجاً للنص، وقدرته على استعادة ذاكرة النص اختلافاً. ليصل إلى تبيان التباعد بين النصوص الذي يخلقه مفهوم الفضاء النصيَّ، على اعتبار أنَّ دوره لا يقتصر على دلالة القوة تشتيتاً أو مغايرة فحسب، بل يحتوي أيضاً على حافز تكويني. إذ عبر ملاحقة الأثر واستحضار المستبعد تتولد الدلالة، وتخلق المتعة بين النصوص. وتالياً، تصبح القراءة تجربة جمالية تعيد تشكليل النص من جديد. ليخلص إلى تكثيف نتائجه في خاتمة تعرض بعض ما توصلنا إليه من أفكار في تناولنا لهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: التفكيك ـ المعنى ـ الدال ـ المدلول ـ الدلالة ـ الكتابة ـ القراءة.

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

Creating Sign and reading strategy in the deconstructing critism of Derrid

Dr. Monzer Shbani*

(Received 8 / 1 / 2018. Accepted 8 / 2 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research attempts at focusing on the sing concept by the French philosopher Jacques Derrida and how he tried to present a different critical reading of this concept, busy answering the question and looking for new horizons of this critical reading that gose beyond the structural closure. this will be through a reading strategy that enables us to open up to the text and its multiplicities. So this research firstly introduces the concept as done by Derrida then proceeds to discuss the role of reader being one deadly strategy in creating or producing the sing, being one product of the text, and his ability to recall the memory. All of this is to clarify the distance among texts which the textual horizon creates, since its role dose not have to do only with the strength of sing as in difference but also it contains a structural motive.The sign is created once the effect and the one who is put away are traced down and thus creates enterainment among texts. Consequently, reading becomes an aesthetic experience that reconstructs the text anew till we get in this research to accumulative results in a conclusion that presents some of the ideas we ended up with when tacking this issue.

.

Key Words:.deconstuction, meaning, signifier, signified, sign, writing ,reading.

* **Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .**

مقدمة:

يرتبط اخصاب الدلالة وتولدها عند دريدا بإبراز التفاعل بين كل من النص باعتباره ظاهرة دينامية تتشكل من شبكة التعالقات النصية، وانطولوجيا النص التي لا تحيل إلى بنية متجانسة أحادية للنص، والقراءة باعتبارها الممارسة الدينامية التي تفتح النص على تعددية المعنى. الأمر الذي يضع القارئ وجهاً لوجه في اكتشاف اللامتجانس القائم في النص. والذي ينفي إمكانية حضور المعنى، ويضع حداً للتمسك بمعنى واحد للنص، وهيمنة ميتافيزيقا الحضور. وهنا يتعين على القراءة النقدية أن تبدأ من التقويض والاختلاف الذي من خلالهما ستتمكن من استنطاق المقروء، الذي هو عمل في التجويف، والكشف عمَّا يتشابك داخل النص من فضاءات واختلافات. وبهذا، يعّد الاختلاف إجراءً نقدياً يتطلب تركيبات واحالات تمنع أي عنصر في أي لحظة، وبأي شكل أن يكون حاضراً لذاته وفي ذاته. وتالياً، يسمح لعقل القارئ التحرر من أي حكم مسبق وفك الارتباط بين الدال والمدلول المتعالي الواحد.

النص بحسب دريدا كون مفتوح ينتج سلسلة من الاحتمالات اللامتناهية التي تثير القارئ ويخيَّب أمله في الحصول على المعنى، هذه الإثارة محفزة للكتابة التي تمثل الدَّال إضافة إلى اللفظ، فالكتابة جاءت لتملئ فراغاً ولتعيد انتاج النص من خلال لعبة الاختلافات المتأتية منه. أو بحسب دريدا لحظة العُمْق بما هو سقوط. هنا تغدو المهمة الفعلية للقراءة هي تسهيل عبور المكبوت، من خلال ملاحقة آثار النص، وفتح النص على نوافذ دلالية متعددة تطل على حقائق متفرقة. وبهذا المعنى، فالنص نسيج من نصوص، وهو تالياً محمَّل بأصداءٍ نصوص ثقافية سابقة، أو ما يشكِّل المكبوت وهو الأمر الذي يحفز على قراءة سبر أغوراه وتفكيك ترسباته من عمق ذاكرته. بعبارة أخرى، العودة إلى أرشفة النص. وهنا تعمل القراءة على ملاحقتها من خلال تأخير وإرجاء للمعنى الواحد القائم في النص. إذاً على القارئ أن يتتبع آثار النص لغوياً حسب عبارة دريدا. فالعلاقة بين النص والقارئ يجب أنَّ يكون علاقة تفاعل عمودي، يتخذ من الشك أحدى الادوات التي من خلالها يرفض النظر إلى النص على إنه حامل لمعنى واحد جاهز. بل ومن خلال علاقته باللغة يفيض بمعانٍ وتصورات دفينة التي يستطيع من خلالها أن يواصل العطاء ويعمل الفكر على الاستمرار في اجترار معانٍ جديدة ومتنوعة. فالمعنى يتولد من خلال اختلاف الدوال الذي تسكنه نفسه، ويصبح ما يكون باختلافه عن نفسه، أي المعنى. والنص نفسه يكَّرس فكرة التراجع اللانهائي للمدلول. وهنا تكمن مهمة القراءة في ملاحقة تاريخية النص الداخلية، من خلال تفكيك ذاكرة الكلمات، وفك نسيج النص، وانساقه المتقاطعة والمختلفة من خلال التقويض وإعادة التشكيل؛ أي الهدم والبناء.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الدور الذي لعبته استراتيجية القراءة في تقديم فهم مختلف للعلامة، وابراز الفرق داخل مفهوم العلامة بين المعنى والدلالة، من حيث ارتباط المعنى بالتداولية، في حين أنَّ الدلالة تتيح إعادة إنتاجية للنص ضمن استراتيجية القراءة النقدية التي قدَّمها دريدا.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الدلالة وعلاقته بفعل الاختلاف كاستراتيجية قراءة تعلّق باستمرار حضور الدلالة، ممَّا يسهم في فتح النص على آفاق متنوعة ودلالات ومعانٍ جديدة ويمنع في الوقت نفسه سلطة وهيمنة المعنى الواحد في القراءة النقدية التفكيكية كما اقترحها دريدا .

منهجية البحث:

رأينا في هذا البحث أن نستعين بمنهج التحليل اللغوي النصي الذي يُعنى بتحليل مفهوم الدلالة، في النقد التفكيكي الدريدي بهدف الوقوف على طبيعة مفهوم الدلالة ضمن مشروع دريدا نفسه. وبالإضافة إلى إننا قد نلجأ إلى المنهج الوصفي الذي يُعتبر واحداً من المناهج المهمة في دراسة اللغة.

النتائج والمناقشة:

أولاً: مفهوم الدلالة عند دريدا:

يميز دريدا في كتابه مواقع ـ حوارات"[1] بين الدلالة والمعنى، على اعتبار إن الدلالة تتنوع عبر التاريخ ولكن المعنى يظل ثابتاً وساكناً، فإذا كان المؤلفون يضعون المعاني، فإن الدلالات يعينَّها القرّاء، وهنا ارتبط مفهوم الدلالة عنده بموت المؤلف. وبهذا التمييز يوضح دريدا الفرق داخل العلامة بين المستوى الدلالي للنص والمستوى التداولي بحيث أنَّ الأول" يُدرس في سيمياء الدلالة من خلال مظهرها الخارجي، وفي الثاني من خلال مظهرها التأويلي (المعنى)"[2]. هذا التمييز سبق وأن نبّه إليه بول ريكور في كتابه نظرية التأويل عندما ميَّز بين علم الدلالة والسيمياء * فلاحظ أن :" السيمياء تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو المعنى" [3] فإذا كانت مشكلة الدلالة أو قدرة النص على إنتاج المعنى عند البنيويين ارتبطت بالنسق، واعتبارهم الكلام أو (اللفظ) هو الدال، والموجود الخارجي هو المدلول. وتطابق العلاقة بينهما. بحيث تكون الدلالة صفة الربط "بين العلامة والموجودات المادية في العالم الخارجي"[4]. فإنَّ دريدا يفصل بين الدال والمدلول إلى أبعد نقطة مما يقرَّب العلاقة في الوقت نفسه من المتلقي إلى

---

[1] –دريدا، جاك. مواقع ،حوارات مع جاك دريدا" هنري رونس، جوليا كريستيفا، جيبي سكاريبتا، جان لوي هودبين". ط 1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1992.

[2] – المرابط، عبد الواحد. السيمياء العامة وسيمياء الأدب ـ من أجل تصور شامل ـ.ط 1، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، مكتبة المناهل، فاس، 2005، ص.94.

*** اعاد ريكور النظر في ثنائية سوسير عن اللسان والكلام، ورأى أن الأولى وضع كلمة خطاب بدلاً من كلام. لأن الكلام عند دي سوسير يمتاز بالتنافر وبعدم الانضباط، بينما يمتاز اللسان أو اللغة بالانسجام والتشاكل، مما يفضي إلى جعله موضوعاً بعلم خاص. الكلام عند دي سوسير فردي وتعاقبي وعارض، واللغة واللسان هو الاجتماعي والتزامني والنسقي. ويكور من ناحيته يضع الخطاب بدلاً من الكلام، ليس فقط ليؤكد على خصوصية الخطاب، بل ليفرق بين علم الدلالة والسيمياء.(راجع. ريكور، بول. نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى. ط2، ت: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص.11.)**

[3] –ريكور، بول. نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى. ط2، ت: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص.11.

[4] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة، الكويت. 1998، ص.234.

أقصى درجات الإمكان، هذه الاجرائية المتهجة لتفكيك القراءة الأولى بالكشف عن المسكوت عنه في النص، تقوم على قلب القراءة الأولى من خلال البحث عن مدلولات تناقض الدلالة المصرَّح بها، عند هذه النقطة "يصبح المدلول أثراً لا ينفك عن السفر والترحال عبر سطوح الدال دون بلوغ جوهره أو إدراك حقيقته، لأنَّ حقيقته هي تبَّدل الدوال باستبدالها وتقويضها"[1]. فهذه الإجرائية تتأسس عند دريدا على منهجية أساسية وهي الاختلاف، حيث يستفيد دريدا من الدَّرس اللساني الدوسوسيري فيعتبر الدلالة نتاج اختلاف لا نتاج هوية. وتالياً، فنظريات القراءة التي تستهدف الامساك بمعنى واحد للنص تسقط في إنجاز قراءات جديدة قادرة على استنطاق المقروء، والكشف عمَّا يعتمد داخله من فضاء * واختلاف، ومن هنا يرى دريدا أنه حيثما كانت الدلالة كان الاختلاف، فحتى المدلول اللساني الدوسوسيري بحسب دريدا لا يكتسب معناه إلا داخل سياقه. وبهذا، فالدلالة ليست نتاج لوغوس\ عقل كلي، وإنمَّا نتاج اختلاف" فلعبة الاختلافات تتطلب تركيبات وإحالات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط في أي لحظة، وبأي شكل من الأشكال حاضراً لذاته وفي ذاته"[2]. كذلك ليست مرتبطة بالقصدية، أي بالرغبة في القول، والكلام والصوت كمجال اسمى للمعنى كما ذهب هوسرل. بل هي بحسب دريدا " تعبير، والنص الذي لا يعبَّر عن شيء لا دلالة له"[3]. ومن هنا، فقد عدَّ دريدا اللفظ دالَّ باعتبار ومدلول باعتبارٍ آخر، المعنى الذي في النفس(الصورة الذهنية) مدلول فقط وليس بدال، الموجود في الأعيان (المواضيع الخارجية) مدلول فقط. وفي هذا السياق، بحسب طرفي العملية الدلالية(الدال والمدلول)، اعتبر دريدا الكتابة، الألفاظ (دال)، والصور الذهنية والمواضيع الخارجية (مدلول). فالكتابة هنا جاءت لتملئ فراغاً ولتعيد إنتاج الاختلاف، وتضمن ترسيم الاثر، بما هي مفتاح للمعنى بين المحسوس والمعقول، بين الوعي والمعنى، للوصول إلى الممنوع والمسكوت عنه. فالدلالة بهذا المعنى انتقلت مع دريدا من المقاربة المحايثة، إلى المقاربة التي تركز على الطابع الديناميكي الذي يتحول معه الدال إلى إخراج وتعبير عن المدلول. فالدلالة بهذا المعنى تتم عن طريق" اكتمال العلاقة بين الدال والمدلول"[4] وليس ترابطهما.

ويمتد هذا الموقف الديريدي في مفهوم الدلالة الذي يعطي الأولوية للاختلاف على مفهوم المطابقة في رؤيته للغة؛ أو منطق العلامة و اعتباطية الدليل اللساني التي قدَّمها دو سوسير للتعبير عن طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، سيستثمرها جاك دريدا لإعادة النظر في علاقة الفلسفة باللغة، على تتبع أثار الاختلاف لغوياً، التي تتضمن في الكلمة الواحدة أو النص الواحد وهذا يعني أنَّ النص ليس حاملاً لمعنى واحد أو لدلالة جاهزة وهنا تكمن مهمة القراءة.

فالفلسفة منذ بدايتها، أي مع التيار السقراطي أعلت من شأن اللوغوس (خطاب العقل)، مقدمة ذاتها بوصفها خطاب الحقيقة، الذي يستعمل الدوال اللسانية استعمالا صارما مطابقا، في مقابل الاستعمال الانزياحي الذي ينتهجه الخطاب النقدي الدريدي، وهذا الموقف الصارم للفلسفة الذي يتعالى على اللغة، ويستهجن أساليبه في الخطاب ينتقده دريدا، من

---

[1] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر. منشورات ضفاف الأولى، 2015، ص.255.

*** معنى الفضاء هنا أي ليس للتعبير الادبي معنى واحد، أنه لا ينقطع عن أي يتضاعف، ويتعدد إذ يمكن لكلمة واحدة مثلاً أن تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي وعن الأخر بأنه مجازي. وانطلاقاً من هذا التصور نشأ ما يسمى الفضاء الدلالي(أحمر، فيصل. معجم السيميائيات، ص130)**

[2] – دريدا، جاك. مواقع ،حوارات مع جاك دريدا" هنري رونس، جوليا كريستيفا، جيي سكاربيتا، جان لوي هودبين (مصدر سبق ذكره)،ص.28.

[3] –المصدر نفسه، ص.35.

[4] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة،(مرجع سبق ذكره)،ص. 234.

خلال" فكرة نهاية الفلسفة، والتي تشير بحسب دريدا إلى بداية حقبة جديدة لها" [1] بمعنى آخر، نهاية العمر الميتافيزيقي. وعلى الرغم من هذا الرأي الديريدي، إلا أنه ارتكز على طبيعة الدليل اللساني؛ فحاول ممارسة فعل عكسي بين انخفاض نسبة الحضور الإنساني وارتفاع نسبة الحضور النصي. لأنه ليس ثمة إمكانية لاستعمال مطابق للغة، بل كل استعمال للغة هو بالضرورة قائم على اعتباطية علاقة الدال بالمدلول، ومن ثم بناء هذه العلاقة على اختلاف الذي من خلاله يمكن تأخير وارجاء المعنى. ومن هنا فاللغة تستند إلى الحالة الاستعارية المجازية وتعددية المعنى. وتالياً، فإن الوضع اللغوي بوصفه وضعاً استعارياً يؤكد الطبيعة الاختلافية للغة، وآلياتها في إنتاج الدلالة.

ثانياً: التفكيك و التنوع الدلالي: القارئ من منظور التفكيكية.

يعمل دريدا في الكتابة والاختلاف على التمهيد لدخول القارئ في اللعبة الحرَّة للنص، تجعله ينفلت ويتحرر من سلطة المعنى الشمولي ويقرأ النص من دون أي استثمار ايديولوجي *، فالقراءة هي عملية خالية من أي رغبة وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين عندما حدد القراءة بأنها عملية "بعيدة عن أي رغبة، أهمية هذا الحدث كحدث نصي هو ما هو- أو تجعل نفسها(أي القراءة) مستقلة عن أي موضوع أو أي رغبة" [2] بل تغدو حرة، ومشغولة ومنهمكة في البحث عن أثر لنصوصٍ سابقة في هذا النص، وتتبعه "حتى لو كان المعنى في الماضي، أثراً يجلب القارئ نحو ذلك، والغرض وجود استمرارية"[3] بين النصوص. فبين السطور، يجب البحث عن المتواري والمسكوت عنه، ومحاولة إنتاج علامات المكبوت، والتيه في علامات أخرى لاحقة، بقطع المعنى الأصلي للكلمات، وفتح النص نحو "المعاني المتعددة، مادام النص، والنص وحده يسمح بالتفسيرات المتعددة"[4] التي تتيح الاعتراف باشتراك الألفاظ، وتعدد المعاني، ووظيفة النقد أن يكشف عن هذه المعاني، وأخذ النص نحو البعد النحوي والاستعاري والمحسنات البديعية؛ أي البعد الرمزي. حيث تصبح متعة القارئ النصية مقلقةً لهيمنة الفكرة الواحدة، ويتحول القارئ إلى محب وعاشق للنص، متجول في ليله التحتي، فيعيد خلق النص، وهنا يتعين على القارئ أن لا يكتفي " بتفسير النص بطريقته فقط، بل أن ينتجه، ويعيد كتابته"[5].

فنشاط القراءة مرتبط بفعل الكتابة من حيث أنَّ" الكتابة ليست شيئاً، إذا لم تكن مقروءة، وفي صيرورة وارتحال دائم. فكل قارئ يجذر الكتابة في الاختلاف ويفصلها عن ذاتها، كتطابق أو حضور ويحيلها إلى الصيرورة والتكرار بشطب ونسيان ما تثبت وتمركز ليزيح عنه هذا التمركز والسكون ويفتحه على الآخر وعلى الهامش، أي على المغامرة كاختلاف، والاختلاف كانتعاش وإتلاف"[6]. فالكتابة تقوم على العمل والممارسة، وتقيم مع القراءة علاقة أساسها الإرادة. وفي هذا السياق، يقول دريدا:" إرادة الاختلاف لا مجرد الرغبة بالكتابة، لأنَّ الأمر لا يتعلق بتأثر، وإنمَّا بحرية وواجب"[7]. فيجب أن يكون هناك علاقة تفاعل بين القارئ والنص، تفاعل عمودي، قائم على الجدل. وتالياً، تكون

---

1. **YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction. Mus Alparslan University; Faculty of Education,Turkey,2014,p.54.**

*** الايديولوجيا تعني هنا هيمنة الفكرة الواحدة**

2 - **YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction). Op.cit., p. 58.**

3 - **Ibid, p. 58.**

4 – **حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة،(مرجع سبق ذكره)، ص.273.**

5 – **المرجع نفسه، ص.277.**

6 – **الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 115.**

7 – **دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف. ت: كاظم جهاد، ط 2، درار تويقال للنشر، دار البيضاء، 2000،ص.145.**

الصلة بينهما أشبه بعلاقة" توحد صوفي تختفي فيها المسافة وهامش الخطأ" [1]. فالقارئ هنا لا يشغل نفسه بالبحث عن المدلول ومضمون الخطابات بقدر ما يشغل نفسه بالبحث عن كيف تشكَّل النص. وبحسب دريدا "لا يوجد شيء إلا النص"[2]. فالتحليلات السيوسو ـ ايديولوجية " تركز على الدالات، أما الدلالات فلا تهم الناقد البنيوي كثيراً" [3] وهي بهذا الاهتمام تهمل الجانب الرائع للكتابة، والتي يمكن أن تنفجر من خلال تتابع الزمن خارج النصوص وتؤدي إلى توالد الدلالات. ومن جانب آخر، أنَّ" المعرفة هنا رغبة ومعاناة، هي معرفة راغبة، والمعرفة ككتابة عاشقة فهي تقوم على العبور والاجتياز أكثر من الاستقرار"[4]. فمتعة القراءة تنشأ من ملاحقة آثار النص، وفتح النص على نوافذ دلالية متعددة متعددة تطل على حقائق متفرقة؛ أي محاولة لبلورة ممارسة نصية قوامها التحليل والنقد، وليس الوصول إلى حقائق ثابتة. وهي القراءة السيوسولوجية التي وجدت في "الكتابة إنمَّا هي شيء خارجي بالنسبة للغة، بمعنى إن الكتابة تهديد خارجي تبتغي مواجهته دوماً لحضور الكلام الذي يثبت الاستقرار"[5].

ينظر دريدا إلى النقد بوصفه كتابة، فالناقد عند دريدا قارئ يكتب. ومن ثم "فوظيفة القارئ ليست اكتشاف النص، بل كتابته"[6]. الكتابة كممارسة؛ تجاوز مستمر، فن رسم الآثار، وولادة الأفكار، تقوم برفض سلطة المعنى الواحد الواحد في مراحل متعاقبة من مسيرة القارئ الذي عليه أنَّ يحفر في العالم التحتي للنص؛ من الداخل، أنَّ يُبحر في عمقه، أنَّ يطلق العنان للمغامرة؛ من خلال تجاوز الصوت القريب؛ والمعنى المثالي الذي يبدو عليه النص لأول وهلة، من أجل فتح مظلة المعنى أثناء القراءة المغرية، لتتحرر من قيد المدلول، وهذا ما كان قد أسماه رولان بارت في كتابه "لذة النص" بقارئ اللذة النصية[7].

يعتقد دريدا أنَّ "الشيء المدلول عليه لا يمكن أنَّ يوجد بنفسه، هنالك على وجه التحديد مدلول قبله، هنالك لغة"[8]. فاللغة عند دريدا" ليست وعاء لشحن وحدات معدة سلفاً، وإنَّما هي صفة لإنتاج هذه الوحدات وابتكارها" [9]. وفي هذا السياق، يصبح النص عند دريدا، نسيجاً معقداً، لا يخمد، لا يسكن يتكلم من خلال القوة الحية والطاقة الكامنة في المعنى، نص يشتمل على اللغة التي تتكلم كما يقول محمد شوقي الزين "عبر النار والانفجار، أيَّ عبَّر بركانية النص، دائم الهيجان والثوران"[10].

وبناءً عليه، فإذا كانت السلطة تخترق اللغة في الخطاب البنيوي، والسلطة عالقة باللغة، فإن الأمر يقتضي من وجهة نظر دريدا الشك والريبة فيما يقوله النص، فبالشك وحده يمكن أنَّ "يواصل العطاء، ويشحذ الفكر" [11] نحو أعماله في الأوهام التي تسكن النص، فالشك في أصغر وحدة صوتية في النص بوصفه علامة موثوقة وشاملة ومتعمدة، يجعل من استراتيجية القراءة دور في تعددية المعنى. وبهذا تغدو اللغة كما يقول بارت "التي أتكلمها في قرارة

---

[1] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة،(مرجع سبق ذكره)، ص.274.

[2] - YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction). Op.cit., p. 54.

[3] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة،(مرجع سبق ذكره)، ص.177

[4] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 114.

[5] – نوريس، كريستسوفر. التفكيكية النظرية والممارسة. ت: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989، ص.169.

[6] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. عالم المعرفة،(مرجع سبق ذكره)، ص.286.

[7] – بارت، رولان. لذة النص.ط1، ت: منذر عياشي، دار لوسوي، باريس، 1992، ص.47.

[8] - YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction). Op.cit., p. 54.

[9] – نوريس، كريستسوفر. التفكيكية النظرية والممارسة.(مرجع سبق ذكره)، ص.56.

[10] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 223.

[11] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)، ص. 214.

نفسي، لا تنتمي إلى عصري، إنها بطبيعتها عرضة للشك الايديولوجي، فإذن، إلى جانب هذه اللغة ينبغي أن أصارع"[1]. أصارع"[1]. هذه هي المهمة الفعلية في صراع العلامات، المغامرة والمقاومة أمام هيمنة المعنى الأحادي والسلطة الخفية التي تدخل في التركيب الباطني للنص، وذلك لأنَّ "كل ما تتمثله الذات له، خاصية التكرار، وما تتمثله الذات هو مجرّد مثاليات لا تنفك عن العودة والرجوع"[2]. فهذه العودة، وهذا التكرار ليس إعادة صياغة النص وتشكيله، وإنَّما هو" انفتاح فعلي على الخارجية"[3]. وعبر هذه القراءة يتعرف الإنسان على ذاكرته التي تقبع في العقل الباطن، لم يستطع الوعي أنَّ يلغيها، وإنما ينسجها في اللاشعور، وتصبح هذه القراءة كما يقول دريدا هي" في آن معاً، منشط للذاكرة وقوة للنسيان" [4] ومن ثم التحرر من وهم ارتباط لدال بمعنى مرجعي سابق، ومن ثم البحث" فيما وراء الجانب الدال" [5] فالمعنى يتولد من خلال اختلاف في الدوال، فما يهتم به دريدا تحديداً هو تحرير الدال\الجسد من الارتباط بمعنى أجادي مغلق بحثاً عن دلالات مشتتة وموزعة.

ثالثاً: فضاءات النص والتوالد النصي الدلالي:

يذهب دريدا إلى القول "إن لا شيء إلا النص" فمنه تتولد الدوال، وعنه تفيض المكنونات، طاقته بركانية تعمل بشكل دائم. وهكذا فإنَّ دينامية التوالد تعمل دائماً على استنطاقه، وإعادة كتابته من جديد. وفي هذا السياق، فإن البيولوجيا التي تتحكم في إنتاج النص عند دريدا " محتواة في نطفة" [6]. نطفة تتكاثر بانقسامها، فكل نطفة هي كلمة، والكلمة في تأثرها وانقسامها وانشطارها تشكّل النص أو الخطاب. فهنا الأمر يتعلق" بمسألة التكاثر العضوي" [7] الذي يؤدي دائماً إلى خلق جديد. فهو يؤمن الاستمرارية اللغوية للنص. ومتابعة هذه البيولوجيا النصية هو ما يحدد اختلاف النص، فدلالة النص كما هو عند بارت "نسيج، والنسيج في بنيته متشابك الخيوط ومتداخل السلاسل بحيث لا تتكشف حقيقة النص أو الحقائق التي تتكلم عنها النص إلا كنسيج معقد"[8] في حين أصبح النص عند دريدا مجموعة من الآثار، الآثار، حيث يترك كل نص أثره. فالنص بهذا المعنى "كون مفتوح"[9] يؤدي إلى سلسة من الاحتمالات اللامتناهية.

من الأثر إلى الإيهام يتكون النص فريداً مختلفاً. فالإيهام يعني" لحظة مغادرة الهوية، والتطابق والانفتاح على الاختلاف كتكرار مظمئ وإرجاء وتخلق لا ينضب" [10]. وعليه، فالنص مفتوح دوماً على اهتزازات مفاجئة ومباغتة تغيَّر من تعاريج النص، وهذا ما يجعل المعنى ممتنعاً على الحضور، ودائماً مرجئ. وما يهم القارئ هو ملاحقة هذا التشكل والمكبوت في النص. وهذه القراءة تنبه إلى أنَّ خلف الحضور هناك دائماً شيء ما لابد أن ينسحب وينزلق. فالنص يكرس فكرة التراجع اللانهائي للمدلول. وبهذا،" يدخل النص مع الأثر في حركة محورية دائرية، تبدأ دائرية، تبدأ

---

[1] – بارت، رولان. لذة النص. (مرجع سبق ذكره)،ص24

[2] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 206.

[3] – المرجع نفسه، ص.206.

[4] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)،ص.127.

[5] – المصدر نفسه، ص.107

[6] – المصدر نفسه، ص.158

[7] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 222.

[8] – المرجع نفسه، ص.222.

[9] – إيكو، امبرتو. التاؤيل بين السيميائيات والتفكيكية،ط2، ت: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004،ص.42.

[10] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 222.

بالأثر متجهة إلى النص ثم تعود إلى الأثر وهكذا دواليك" [1]. وهذا ما يحيلنا إلى عمق النظرية التكرارية" التي بها يلغي دريدا وجود حدود بين النص والآخر" [2] ولا ينبغي تصور الدال على أنه الجزء الأول من المعنى وحامله المادي، بل أنَّ "المادة ينفصل عن سياقها ليقيم ما لا يحصر من السياقات الجديدة التي لا يحدها حدود" [3] وما يجدر الإشارة إليه إن لانهائية الدال\ الجسد لا يعني عجز اللسان عن التعبير عنه، وإنمَّا إلى فكرة اللعب الرامية عند دريدا بإحالة الدال إلى دال آخر مع تغيب متعمد للمدلول. وهذه الإحالات داخل مجال النص لا تكل ولا تمل في صيرورة دائمة لإنتاج المعاني. وتالياً، هذا التوليد الدائم للدال عند دريدا تمر عبر" مسألة نصه لنص سابق عليه أو معاصر له" [4]. فهناك في كل قراءة جهد يقوض ويحطم الارتباط بين الدال والمدلول الذي يعتبروهما دوسوسير كوجهين لعملة واحدة. وهذا التقويض بحسب دريدا "يحمل معنى كلياً للكلمة شامل في الحقيقة لمعنيين هما: البناء والهدم وفق التمييز المعطى للمكونات الصرفية للكلمة" [5]. فالنص يخفي وراءه نصاً مكبوتاً، ولا نهائياً تمت مسألته، ومعالجته مخرجاً نصاً جديدا، ومن هنا فلعبة المعنى "تفيض عن الدلالة ـ بما هي اعلان ـ هذه الدلالة المحبوسة دائماً في الحدود الاقليمية للطبيعة والحياة والروح، فإن هذا الفيض والتجاوز هما لحظة إرادة الكتابة" [6]. هذه الإرادة(إرادة الكتابة) تتميز بالفاعلية والدينامية والدينامية النصية في معالجة النصوص الثقافية وإخراجها من جديد. فهذه القراءة والملاحقة لإنتاجية النص هي بالنسبة إلى ذات القارئ تشكيل لهويتها(الهوية السردية)، فمطلب القارئ بهذه الحالة " تأويل بإخراج نصي مقام على ثنائي الذات والآخر" [7].

إن الدينامية التي تتحدث عنها هنا هي توليد الدلالة تبعاً للنشاط المزدوج للقراءة والكتابة، السبب والنتيجة. فدريدا يرى "بأنَّ الكلمة المقولة والمكتوبة هي كلمة شعرية في الأساس. أي إنها كلمة كثيفة الدلالة" [8] فكما أنَّ الشعر يحمل معانٍ وتفسيرات مجازية متعددة، كذلك النصوص كل قراءة لها تؤدي إلى إعادة انتاجها من جديد.

وهكذا فإن انزلاق المدلولات وسيلانها من دال إلى دال دون انغلاق النص يؤدي هذه الدينامية إلى نظام من التعايشات، والتي بدورها أحالت إلى فضاءات الشكل الدلالي لقيمة الكتابة من جهة ولتعدد المعنى من جهة أخرى. وهذه الإحالة يتم فيها تأخير المعنى المرجعي للكلمات والالتفات إلى الصدى المحمل داخلها. هذا المنطق الذي يحكم مبدأ توالد الدلالات يحيل إلى التأخير\ التعليق الحكم على المعنى ـ أي أنَّ المعنى دائماً يؤجل ويرجئ ـ في حالة صيرورة دائمة بغياب منتج للنص، فالقوة الداخلية التي يمتلكها النص، ودريدا الذي "يذكر القوة يوضح هنا أنَّ المعنى واللغة ليسا طليقين بعيد عن أي قوة" [9]. فهذه القوة، هي السيلان الحر للطلاقة\ المعنى في الجهاز اللغوي النصي. أي الانشغال بتعدد الدلالة، وبقدرات الجسد\الدال اللانهائية على الخلق من خلال "لعبة الأثر والاختلاف والاحالات المتبادلة، تنشأ " تفضية"، خلق الفضاء ومسافة وانزياحات وفواصل، حتى داخل عناصر اللغة المتكلم أو الكلام، ومهما

---

[1] – الغذامي، عبد الله محمد. الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر.(مرجع سبق ذكره)، ص 59.

[2] –المرجع نفسه، ص57.

[3] –المرجع نفسه، ص57.

[4] – دريدا، جاك. في علم الكتابة. ط2،ت: أنور مفيث ومنى طلبه، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008. ص26

[5] المصدر نفسه، ص.20.

[6] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)،ص 145.

[7] – الورفلي، حاتم. بول ريكور الهوية السردية. دار التنوير، بيروت، 2009،ص.60.

[8] – دريدا، جاك. في علم الكتابة،(مصدر سبق ذكره)، ص. 20.

[9] -YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction). Op.cit., p. 54.

كانت وجازتها"[1] .ووفقاً لهذا الكلام، المعنى دائماً هو" نوع من فيض الخلق والإبداع الذي يفوق أيَّ وصف" [2] وبهذا ينتج ينتج الانتشار أو يتناثر المعنى؛ أي يتوزع المعنى على كل أجزاء النص وعدم ارتباطه بعنصر من العناصر. وهنا يشير دريدا إلى أنَّ "ما يخيف في الكتابة هو ما تحفر عليه من انتشار الوعي مثلما للعلامات، لا يتسبب به الكلام الملتحم حول نفسه" [3] ففعل الكتابة هو فعل اللعب، من حيث أنه هو الفعل" الذي يجر معه جميع المدلولات المتضمن فحواها بجميع الأماكن الحصينة، جميع ملاجئ خارج اللعب التي كانت تشرق غلى حقل اللغة وتحرسه" [4] المهم هنا هو هو كيفية اشتغال مبدأ إرادة الكتابة وفتح آفاق المعنى للنص على كل الاتجاهات، من خلال إفاضة اللغة بمعانٍ وتصورات دفينة. إذن فلأجل هذه الغاية يجب أن نثوِّر الألة المفكرة الجسد في نشاط القراءة، وفعل الكتابة. وهذا ربما ما كان قد قصده دريدا عندما تحدث في كتابه الكتابة والاختلاف عن نهاية الكتاب وبداية الكتابة، فالكتابة تبدع المعنى، والمعنى يبدع الحياة.

رابعاً: القراءة التفكيكية ومتعة النص المتداخل:

تنشغل القراءة التفكيكية باستكشاف مضامين النص، واسترداد المعاني المخفية، والابحار في عمقها لإظهار لا نهائيتها، فلا يجد الخطاب النقدي والحال كهذه، إلا فصل الدال عن المدلول كي يستعيد ذاكرة النص اختلافاً. إذ عبر ملاحقة الأثار تُخلق المتعة، عند ابراز واستكشاف المكبوت كتابةً تشتغل على النص جدل الحضور والغياب أو كما يقول دريدا "إنَّ الاختلاف بينهما هو الذي يسبب حضورهما وإن صفة الحضور التي لهما لا تأتيهما إلا من خلال علاقة الاختلاف التي بينهما، الأمر الذي يعني أن الاختلاف بين علاقتين هو المعنى" [5]. ومن أجل ذلك انزاح الخطاب الخطاب النقدي عن قراءة البنية السطحية للنص، والخوض في جوفه لاسترداد البنى السيميولوجية المختفية فيه، والدخول في محاورة العالم الدلالي للنص والتي "تتحرك داخله كالسراب" [6] كما رأى أحد الباحثين. فهذه القراءة لا تنشغل بمنطوق النص بل بلعبه الدلالي وخفاياه الرمزية والاستعارات البديعية، واختلافاته، وصمته، بمعنى آخر، هي " قراءة حرة، ولكنها نظامية وجادة، وفيها يتوحد الموروث القديم وكل معطياته مع الجديد المبتكر وكل موحياته من خلال مفهوم السياق حيث يكون التحول" [7] ومن خلال ذلك يدخل القارئ في صراع ومقاومة مع النص لاستكشاف عوالمه الباطنية، واختلافاته الداخلية، من أجل استنطاقه واعادة فتح أفاقه بحثاً عمَّا ما هو مخفي وصامت، يكفل له مواصلة عبوره واختراقاته. وهنا يوضح دريدا عملية التفاعل بين النص والقارئ، التي بها يعيد القارئ خلق النص بقوله:" إنَّ الكتاب أشبه ما يكون ب" لوحة في حركة"، لا يتكّشف إلَّا في مقاطع متلاحقة. وتتمثل مهمة القارئ الدقيق في قلب هذا النزوع الطبيعي للكتاب بحيث يتقدم الأخير بكامله إلى الفكر" [8]. وتالياً، يحول النص إلى شبكة متزامنة من العلاقات المتبادلة يستطيع من خلاله القارئ أنَّ يعيد " قراءة المعنى داخل السطور، وليس في السطور ذاتها" [9] بعبارة أخرى، للقارئ الحرية

---

[1] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)،ص. 33.

[2] – نوريس، كريستسوفر.التفكيكية النظرية والممارسة. .(مرجع سبق ذكره)، 1989،ص.120.

[3] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)،ص 33.

[4] – المصدر نفسه،ص.104.

[5] – عبد الله، عادل. التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل. (مرجع سبق ذكره)، ص 48

[6] – الغذامي، عبد الله محمد. الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر.(مرجع سبق ذكره)، ص 59.

[7] – المرجع نفسه. ص.59.

[8] – دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مرجع سبق ذكره)،ص. 161.

[9] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك . ص209

الحرية المطلقة في قراءة النص ليس فقط من خلال ملاحقة آثاره. بل وإعادة كتابته من جديد، فتصبح القراءة هنا تكويناً للنص. وعليه، ومن خلال مفهوم المراوغة التي اكتسبت أهمية كبيرة عند التفكيكية يمكن الحديث عن دلالات لانهائية للنص، وليس فقط تعددها كما يؤكد أحد الباحثين [1] فاعتبر هذا المفهوم ـ المراوغة ـ "النموذج الأول الذي تحققت فيه حيوية اللغة كاملة"[2].

من الاجراءات المهمة للتفكير النقدي التفكيكي "عملية الارجاء" والإحالة والتي تعتبر بدورها إحدى إجراءات لعبة الاختلافات"[3] وتعني أن المعاني لا تقوم على التطابق أو التجاور، بل على الاختلاف الذي هو من المبادئ التفكيكية الذي اقترحها دريدا، فهذا التأجيل وارجاء حضور المعنى هي التي تخلق مسافة زمانية يستطيع بها القارئ توليد الدلالة. فالإرجاء يجعل من تجربة الادراك انفتاح على التعبير. ومن ثم، يجعل من المعنى" نقطة الاستكمال الذي لا ينتهي من قبل إعمال الرمز" [4] فالإدراك يتيح لنا التفكير بين اللامرئي للموضوع المحسوس ودلالاته، هذه المنطقة البين بين هو ما يسمى الفضاء الدلالي الذي تتم من خلاله رؤية الاختلاف بين المحسوس والمعنى، في انزياحاته اللانهائية فالاختلاف هو" اختلاف حركي يرجئ ويؤجل حتى يفلت من حتمية الحضور والتطابق" [5]. هذا الارجاء للقيم والمدلول، يجعل القراءة محايدة. وعليه، تظهر ذات القارئ التي هي" ذات المتلقي الذي يطلق التفكيكيون يده في النص وتفسيره كما يشاء" [6] وتالياً تحل الحبال بحسب عبارة بول ريكو؛ أي الاقلاع كتابة عن انفصال المُؤلِف عن مقاصد المُؤلَف والسياق الذي جاء فيه ليقلع نحو التأويل.

فالنص يعاد إنتاجه، وتتحقق هذه الإنتاجية في أنَّ النص يدخل مع اللغة في نمطين من العلاقات:" علاقة إعادة توزيع؛ فاللسان يعاد توزيعه، وإعادة التوزيع" تتضمن بعض التحولات الأساسية في عاداتنا القرائية"[7]، علاقة تناوب تناوب وتبادل" لأن النص يفتح المجال لملفوظات أخرى آتية من نصوص أخرى تدخل في النص يفتح المجال لملفوظات أخرى آتية من نصوص أخرى تدخل في النص وتتقاطع مع ملفوظاته، وهي بذلك علاقة حوارية أو تناصية"[8] تناصية"[8] فكل علامة تحيل إلى مدلول مرجعي واقعي تجعل القراءة تتجه لاختراق ما وراء النص، باعتباره صيرورة تاريخية وفي تغير دائم، هذه الصيرورة تقودنا إلى اكتشاف معانٍ جديدة غير متوقعة، متباينة وقابلة للتغيير. وعليه، تعطي التفكيكية الحرية لكل قارئ" في تقديم نصه هو. في إعادة كتابة النص ـ أي تفسيره بالطريقة التي يراها" [9] وهذه القراءة تعيد للذات قدرتها حيث ينبغي على القارئ" الدخول إلى هذا النص لملء فجوة فيه... وهكذا، وبالرغم من وجود ثغرات أو فجوات يجب أن تملأ في النص، فمن المؤكد أنَّ النص أكثر بنائية... من الحياة" [10] أصبح من اللازم على القراءة الحفر والنبش في تاريخ اللغة وذاكرة الكلمات ودلالتها المختلفة والتنافر والتناقضات التي تدخل في صميم تكوين

---

[1] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.(مرجع سبق ذكره)، ص.210.

[2] – المرجع نفسه، ص.268.

[3] – نوريس، كريستسوفر.التفكيكية النظرية والممارسة. ت: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989، ص94.

[4] – المرجع نفسه. ص.84.

[5] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 213

[6] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.(مرجع سبق ذكره) ، ص.269.

[7] – نوريس، كريستسوفر.التفكيكية النظرية والممارسة. (مرجع سبق ذكره)، ص.66.

[8] –المرابط، عبد الواحد. السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل.ط 1، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، فاس، 2005، ص88.

[9] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.(مرجع سبق ذكره) ، ص.268.

[10] ـ المرجع نفسه. ص.291.

الكلمات والجملة والحكاية والتي تختفي داخل الكلمة الحاضرة، فالنص الحاضر يخفي النصوص الغائبة. بمعنى آخر، ملاحقة "إثراء الدلالة" وتورقها، وليس المدلول في ذاته، أي يجب السعي إلى ما وراء الحرف، للروح أو المعنى الذي يسكنه ويختفي فيه. إذ بحسب دريدا" أنَّ الشيء المدلول عليه لا يمكن أنَّ يوجد بنفسه هناك على وجه التأكيد مدلول قبله، وهنالك لغة" [1] هذه القراءة التي تظهر النصوص الغائبة لتصبح مقروءة في النص. وتالياً، " وما تفعله القراءات المختلفة هي عملية تقليب للنص حتى يتحرك ما في القاع وتطفو الترسبات الثقافية المختلفة إلى السطح"[2] فطوال عملية القراءة هناك تفاعل مستمر بين التوقعات والذكريات كما يؤكد بول ريكور في كتابه الوجود والزمان والسرد بقوله:" طوال عملية القراءة هناك تفاعل مستمر بين التقوقعات المحورية والذكريات المحمولة" [3]، وهذا التفاعل يثير ذاكرة القارئ للعودة إلى ما يحتفظ به من آثار ذاكرية، تساعده على استرجاع ما مر بخبرته من نصوص وأفكار ومعلومات سابقة. بمعنى آخر،" أن القارئ عند كل لحظة، يدرك الأحدث انطلاقاً من معرفته السَّابقة ومن توقعاته لما سيحدث. أي أنه في كل لحظة من قراءته يتذكر ما أدركه في اللحظات السابقة ويبني ـ في الوقت نفسه ـ تصوراً أو توقعاً لما سيحدث في اللحظات المقبلة"[4]، ومع ملاحقة هذه الآثار تخلق المتعة الجمالية للنص بحسب دريدا. فالنص هو تناص. وعليه،" فهو عبارة عن نسيج مركب من إشارات وتعبيرات ودلالات متداخلة تستدعي التفكيك والعزل لفحص بنياتها وجذورها المتضاربة"[5] أي أن النص نسيج من نصوص ثقافية محمل بأصداء نصوص سابقة أو ما يشكل المكبوت وهو أمر الذي يحفز على قراءة سبر أغوراه وتفكيك ترسباته. فالتناص أو البينصية يقلب ذاكرة القارئ ولا يكتفي فقط بتحديد معنى كلمة غائبة محل معنى كلمة حاضرة في النص. بل يفتح الدلالات على أفق متنوعة للمعنى. وتالياً يضع النص أمام لعبة اختلافات متحررا من كل نظام يمكن أن يهمين عليه. فبالإضافة إلى عملية الاختلاف هناك تأخير مستمر إرجاء للمعنى التي تتم على مستوى محور الغياب .

فالإرجاء التي تمارسه القراءة باعتباره استراتيجية تأخير حضور المعنى هو بشكل آخر يشير إلى الغياب الذي يضمرها الاختلاف في سجل اللاوعي وتبقى المعنى مختلفاً غبر سلسلة التركيب الحضور، كما يبقى مرجئ عبر سلسلة الاستبدالات \الغياب. نظام الاختلافات بحسب دريدا يبقى الاختلاف على علاقة مع نصوص أخرى، باعتبار هذا الاختلاف شرط المعنى؛ شرط حصول العلامة على معناها، ثم تكوينه لمفهوم الإرجاء "من خلال ملاحقة العلامة لمعناها عبر العلامات الأخرى لعدم وجود معنى نهائي تقف عنده مسألة الإحالة" [6] فأمام اختفاء العلاقة بين الدال والمدلول، تتسع مساحة الفجوة بين الاثنين "الفجوة التي يتحقق فيها اللعب الحر للمدلولات، ويتحقق لانهائية الدلالة أو المعنى"[7] فتنخرط ذات القارئ في لعبة الدوال و المدلولات، لعبة الإحالة و التلقي لأنه لا يمكن الاستمرار في الدلالة إلا إلا عن طريق الإشارة إلى دلالات أخرى، وهو ما يسميه علماء اللغة بفتح الدلالة على آفاق متنوعة يتيح الاستمرارية للنص.

---

[1] - YAGEN,CEREN. Derrida and Language; Deconstruction . Op.cit., p. 54.

[2] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.(مرجع سبق ذكره) ، ص.326.

[3] – ريكور، بول. الوجود والزمان والسرد ـ الزمان المروري . ج3، ص252.

[4] –المرابط، عبد الواحد. السيمياء العامة وسيمياء الأدب ـ من أجل تصور شامل ـ .(مرجع سبق ذكره) ، ص.179.

[5] – الزين، محمد شوقي. تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر.(مرجع سبق ذكره)،ص. 343.

[6] – عبد الله، عادل. التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل. ط 1، دار الحصاد، دمشق، 2000، ص.25.

[7] – حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.(مرجع سبق ذكره) ، ص.304.

الأمر الذي يقتضي النظر إلى انطولوجيا النص، من خلال اتخاذ استراتيجية في تأخير وإرجاء وحضور المعنى، أي تعليق الدلالة المرجعية للكلمات إلى حين، وليس تحطيمها بل ولادة كلمات جديدة مع كل قراءة للنص ضمن استراتيجية الاختلاف." فالاختلاف مظهر جمالي يجسد مبدأ الانزياح أو العدول الذي تعتمد عليه اللغة لإبداع نصوص تكشف عن المتباين والمختلف في صورة منسجمة ومتناغمة" [1]. فاختلاف كاستراتيجية قرائية تعليق باستمرار حضور الدلالة الأصلية والمرجعية للكلمات ويتم ذلك بحسب أحد الباحثين " بمراوغة اللغة بالتنقل المتناوب بين الاستعمال المعياري والاستعمال الاستعمالي(الوصفي) كلما دعت إلى ذلك الحاجة بوساطة الانحراف بدلالة الكلمة عن معناها الأصلي إلى معنى مشابه أو قريب أو مضاد" [2]. فالنص رمزي، ممارسة دَّالة لا ينقل حقيقة الأشياء، إنما يعيد خلق الكلمات من حيث أنَّ الكلمة كما قال دريدا " هي جثة الكلام النفساني، ويجب العثور من جديد، مع كلمات الحياة نفسها، على كلام ما قبل الكلمات"[3].

النتائج والمناقشة:

القراءة عند دريدا هي ممارسة دَّالة مهمتها الحفر في عمق النص للبحث عن الممنوع الغائب والمكبوت المهمش. الذين يتميزان بميزة خاصة بكونهما استثنائيين وأساسيين ومتدفقين أيضاً، الأمر الذي يقتضي العودة إلى ماوراء الكلمة المنطوقة، والابتعاد عن التمسك بالدلالة المباشرة للكلمة. فالقراءة هي الرجوع للوراء؛ أي إلى خلفية النص، قراءة تحتفي بتعدد المعنى، وتوليد الدلالة، عبر اللعب اللغوي في النص الذي يتيح تدفق واستمرار المعاني وإفاضتها. فاللعب بالكلمات والحروف والنصوص يحتوي على علاقة مزدوجة: تأخير حضور المعنى وارجائه مما يتيح لانهائية للمعاني هذا من جهة، والحصول على المتعة من خلال تبادل وتناوب الملفوظات؛ أي بفتح المجال لملفوظات أخرى آتية من نصوص أخرى وتتقاطع مع ملفوظاته والتي من خلالها تقيم علاقة حوارية أو تناصية من جهة أخرى. فمن خلال تلاقح الكلمات وإخراج وخلق كلمات جديدة تتوالد المتعة ويتم اخصاب الدلالة. فالذي يسعى اليه دريدا هو تحرير الدال ـ الجسد من الارتباط بمعنى واحد سابق. وتغدو مهمة القراءة أن تتابع تاريخية النص، وتفكيك ذاكرة الكلمات، وفك نسيج النص، عبر تقويضه؛ أيَّ من خلال الهدم والبناء من جديد.

[1] – تحريشي، محمد. أدوات النص.(مرجع سبق ذكره)، ص.89.

[2] – المرجع نفسه، ص.89.

[3] –دريدا، جاك. الكتابة والاختلاف.(مصدر سبق ذكره)،ص 88.

ـ المصادر والمراجع:

1. أحمر، فيصل. معجم *السيميائيات* . ط 1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، 360صفة.

2. الزين، محمد شوقي. *تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر* . منشورات ضفاف الأولى، 2015، 325صفحة.

3. الغذامي، عبد الله محمد. *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر* .ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، 396 صفحة.

4. المرابط، عبد الواحد. *السيمياء العامة وسيمياء الأدب ـ من أجل* تصور شامل ..ط 1، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، مكتبة المناهل، فاس، 2005، 233 ص.

5. حمودة، عبد العزيز. *المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك*. عالم المعرفة، الكويت. 1998، 356 صفحة.

6. دريدا، جاك. *الكتابة والاختلاف*. ت: كاظم جهاد، ط 2، درار توبقال للنشر، دار البيضاء، 2000، 252صفحة.

7. دريدا، جاك. *في علم الكتابة* . ط2،ت: أنور مفيث ومنى طلبه، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، 585صفحة.

8. دريدا، جاك. *مواقع ،حوارات مع جاك دريدا" هنري رونس، جوليا كريستيفا، جيي سكاربيتا، جان لوي هودبين"*. ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1992. 94صفحة.

9. عبد الله، عادل. *التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل*. ط1، دار الحصاد، دمشق، 2000، 176 صفحة.

10. فوكو، ميشيل. دريدا، جاك. *حوارات ونصوص* . ت: محمد ميلاد، ط 2، دار الحوار، اللاذقية، 2011، 205 صفحة.

11. نوريس، كريستسوفر. *التفكيكية النظرية والممارسة* . ت: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989، 301 صفحة.

12.YAGEN,CEREN. *Derrida and Language; Deconstruction*. Mus Alparslan University; Faculty of Education,Turkey,2014,